بَينَ اَلْإِيقَاعُ وَالدَّلَالَةُ

ليلى محمد عبد الكريم علي (*)

مَدْخَلٌ:

إِنَّ اَلِاهْتِمَامَ بِعُنْصُرِ اَلْإِيقَاعِ فِي اَلثَّقَافَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ كَانَ مُنْذُ فَجْرِهَا اَلْأَوَّلِ، فَقَدْ اِهْتَمَّ بِهِ اَلْعَرَبُ وَأُولُوهُ عِنَايَةً كَبِيرَةً ، كَمَا كَانَ اِهْتِمَامُهُمْ مُنْصِبًا عَلَى اَلشِّعْرِ وَالْغِنَاءِ ، فَالْإِيقَاعُ اَلشِّعْرِيُّ هُوَ اَلْمُعْبَرُ عَنْ حَرَكَةِ اَلنَّفْسِ اَلشُّعُورِيَّةِ، وَشِحْنَتِهَا اَلْوِجْدَانِيَّةِ، وَانْفِعَالَاتِهَا اَلنَّفْسِيَّةِ، وَمِنْ هُنَا نَجِدُ أَنَّ لِكُلِّ تَجْرِبَةٍ شِعْرِيَّةٍ إِيقَاعُهَا اَلْخَاصُّ بِهَا اَلَّذِي يَتَمَاشَى مَعَهَا، وَيَكُونُ أَكْثَرَ اِنْسِجَامًا مَعَهَا مِنْ غَيْرِهَا، تَتَّفِقُ مَعَ اَلْمُتَوَاضِعِ مِنْهَا مِنْ اَلْأَوْزَانِ، وَتَخْتَلِفُ فِيهِ اَلتَّفَاصِيلُ مِنْ زَحَّافَاتٍ وَعَلَّلٍ، وَاخْتِيَارِ المُفْرَدَاتِ، وَبِنَاءِ الجُمَلِ، . . . وَغَيَّرَ ذَلِكَ.

فَدِرَاسَةَ اَلْإِيقَاعِ فِي اَلشِّعْرِ اَلْعَرَبِيِّ لَا تَقْتَصِرُ _ فَقَطْ _ عَلَى اَلْوَزْنِ اَلَّذِي يَقُومُ – فِي أَسَاسِهِ - عَلَى تَنَاسُبِ اَلْمَسَافَةِ بَيْنَ اَلْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَتَنَاسُبِ زَمَنِ نُطْقِ اَلْحُرُوفِ، وَتَتَابُعِهَا اَلْعَرُوضِيِّ فَحَسْب، إِنَّمَا يَمَسُّ اَلْجَوْهَرَ اَلْعَامَ لِلْقَصِيدَةِ، وَيَتَّصِلُ بِمُخْتَلِفِ مُقَوِّمَاتِهَا اَلشِّعْرِيَّةِ مِنْ لُغَةٍ، وَرَمْزٍ، وَصُورَةٍ، بَلْ يَتَعَدَّى دَوْرَهُ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ اَلَّذِي يُنَظِّمُ اَلدَّوْرَ اَلْحَرَكِيَّ فِي اَلنَّصِّ اَلشِّعْرِيِّ مَا بَيْنَ اَلْمَعْنَى وَالذَّاتِ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَالْإِيقَاعِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

فَقَدْ كَانَتْ اَلْقَصِيدَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ وَلَا زَالَتْ مُسَجَّلَةً لِمَآثِرِ اَلْعَرَبِ، مَنْظُومَةً بِطَرِيقَةٍ إِيقَاعِيَّةٍ يُسَهِّلُ حِفْظُهَا؛ وَمِنْ ثَمَّ تَدَاوُلِهَا بَيْنَ اَلنَّاسِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ مِنْ تَارِيخِيَّتِهَا وَتَدْوِينِهَا لِلْمَآثِرِ، وَآلَتْ إِلَى عَاطِفَةٍ تَفْرِضُ اَلْمَعْنَى فِي مَبْنَاهَا إِلَى مَا تُرِيدُ، وَأَصْبَحَ لِلتَّارِيخِ وَالْأَحْدَاثِ لِسَانٌ غَيْرَ لِسَانِ اَلشِّعْرِ، فَخَرَجَتْ اَلْقَصِيدَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ مِنْ قَيْدِ اَلْمَعْنَى إِلَى اَلْمَبْنَى اَلَّذِي يَخْتَارُ مَا شَاءَ مِنْ مَعَانٍ؛ لِخِدْمَةِ اَلشِّعْرِ فَقَطْ.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [شَعَرُ اِبْنِ اَلْحَدَّادِ اَلْأَنْدَلُسِيِّ - دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ إِيقَاعِيَّةٌ]، تحت إشراف: أ.د. حازم علي كمال الدين – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. فتوح أحمد خليل – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

فَالنِّظَـامُ اَلْإِيقَـاعِيُّ هُـوَ اَلَّـذِي يَرْسُـمُ مَعَـالِمَ اَلصُّـورَةِ اَلَّتِـي يَتَغَنَّـى بِهَـا اَلْخِطَـابُ اَلشِّـعْرِيُّ ، فَـإِذَا خَـلَا ذَلِـكَ اَلْخِطَـابِ مِـنْ اَلْإِيقَـاعِ " ذَهَـبَ مَـاؤُهُ، وَسَـقَطَ مَوْضِـعُ اَلتَّعَجُّـبِ، وَالِاهْتِمَـامُ بِعُنْصُـرِ اَلْإِيقَـاعِ اَلشِّـعْرِيِّ، وَالْإِلْحَـاحُ عَلَـى حَتْمِيَّـةِ اَلِاقْتِـرَانِ بَيْنَهُمَـا فِـي اَلـذَّوْقِ اَلْعَرَبِـيِّ، فَنَجِـدُ اَلْإِيقَـاعَ تَجَـاوَزَ فِـي بُعْـدِهِ اَلزَّمَنِـيِّ حُـدُودَ اَلشِّـعْرِ، يَقُـولَ اَلْجَـاحِظُ " كَانَـتْ اَلْعَـرَبُ فِـي جَاهِلِيَّتِهَـا تَحْتَـالُ فِـي تَخْلِيـدِهَا بِـأَنْ تَعْتَمِـدُ فِـي ذَلِـكَ عَلَـى اَلشِّـعْرِ اَلْمَـوْزُونِ وَالْكَـلَامِ اَلْمُقَفَّـى، وَكَـانَ ذَلِـكَ هُـوَ دِيوَانُهَـا [1]، وَكَـانَ اَلْعَـرَبُ يُـدْرِكُونَ هَـذِهِ اَلْآصِـرَةِ اَلْقَوِيَّـةِ اَلَّتِـي تَـرْبُطُ بَـيْنَ اَلْإِيقَاعِ وَالشِّعْرِ وَعَلَاقَتِهِمَا فِي تَوْجِيهِ اَلدَّلَالَةِ.

أَوَّلاً: اَلْإِيقَاعُ

إِنَّ اَلتَّجْرِبَـةَ اَلشِّـعْرِيَّةَ مَـا هِـيَ إِلَّا مُمَارَسَـةٌ، يَتَحَـوَّلُ فِيهَـا اَلشَّـاعِرُ إِلَـى مُبْـدِعٍ، مُـزْدَحِمٍ بِرِوَايَاتِـهِ، يُـزَادُ عَلَيْهَـا مَـا لَا يُدْرِكُـهُ مِـنْ مَشَـاعِرٍ وَأَحَاسِـيسٍ، تَـأْتِي مِـنْ كُـلِّ حَـدْبٍ وَصَـوْبٍ؛ لِتَصْـنَعَ إِنْجَـازًا يَحْمِـلُ حِينَاتًـا شِـعْرِيَّةً لَا تُحْصَـى أُصُـولُهَا، أَمَّـا ذَلِـكَ اَلَّـذِي يَصْـنَعُ اَلْمَعْنَـى مُـدْرِكًا وَاعِيًـا ثُـمَّ يَبْنِـي لَـهُ شَـكْلاً فَهُـوَ اَلنَّاظِمُ لَا اَلشَّاعِرُ.

وَلَقَـدْ تَبَايَنَـتْ آرَاءُ اَلْبَـاحِثِينَ وَالدِّرَاسِـينَ فِـي تَحْدِيـدِ مَفْهُـومِ اَلْإِيقَـاعِ، وَاخْتَلَفَـتْ وُجُهَـاتُ نَظَـرِهِمْ فِـي نَشْـأَتِهِ بِـاخْتِلَافِ اِتِّجَاهَـاتِهِمْ وَنَزَعَـاتِهِمْ؛ وَبِسَـبَبِ سِـعَةِ اَلْمَجَـالِ اَلـدَّلَالِيِّ لِكَلِمَـةِ " إِيقَـاعٍ "، فَـإِنَّ اَلْـبَعْضَ ذَهَـبَ إِلَـى اَلـدَّعْوَةِ لِلِاحْتِفَـاظِ بِهَـذِهِ اَلْكَلِمَـةِ لِوَصْـفِ اَلتَّـأْثِيرَاتِ اَلْجَمَالِيَّـةِ؛ مِمَّـا يَجْعَلُنَـا نَسْـعَى فِـي اَلْبَحْـثِ إِلَـى ضَـبْطِ مَفْهُـومٍ مُحَـدَّدٍ لِلْإِيقَـاعِ سَـوَاءٍ مِـنْ اَلنَّاحِيَـةِ اَللُّغَوِيَّـةِ أَوْ اَلِاصْطِلَاحِيَّةِ.

الإِيقَاعُ لُغَةً:

جَـاءَ فِـي لِسَـانِ اَلْعَـرَبِ أَنَّ اَلْإِيقَـاعَ: عَلَـى وَزْنِ "إِفْعَـال" مِـنْ اَلْوُقُـوعِ بِمَعْنَـى اَلسُّـقُوطِ ، يُقَـال: وَقَـعَ اَلْمَطَـرُ، أَيْ سَـقَطَ وَنَـزَلَ، وَأَوْقَـعَ اَلشَّـيَّء: أَسْـقَطَهُ،

[1] يُنْظَر: اَلْحَيَوَانُ، اَلْجَاحِظ، تَحْقِيقُ : عَبْدُ اَلسَّلَامِ هَارُونْ، دَارُ اَلْكِتَابِ اَلْعَرَبِيِّ، بَيْرُوت ، ج ١، ط ١ ١٩٦٩ م ، ص ٨٥.

وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ " اَلْمَيْقَعْ وَالْمِيقَعَة كُلَاهُمَا بِمَعْنَى اَلْمِطْرَقَة"[١]، وَيَأْتِي أَيْضًا بِمَعْنَى اَلْحُصُولِ وَالثُّبُوتِ وَالْوُجُودِ، فَيُقَال: وَقَعَ اَلصَّيْدُ فِي اَلشِّرْكِ، أَيْ حَصَلَ، وَوَقَعَ اَلْقَوْلُ، أَيْ حَصَلَ مَضْمُونُهُ [٢].

اَلْإِيقَاعُ اِصْطِلَاحًا:

عُرِّفَ اَلْإِيقَاعُ بِتَعْرِيفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَكُلُّ تَعْرِيفٍ يَخْضَعُ لِظَاهِرَةٍ مُعَيَّنَةٍ نُفَسِّرُ فِيهَا اَلْإِيقَاعَ حَسْبَ ارْتِبَاطِهِ بِالزَّمَنِ، فَلَا يَكَادُ يَخْلُو اَلدَّرْسُ اَلْعَرَبِيُّ اَلْقَدِيمُ مِنْ تَعْرِيفِهِ لِلْإِيقَاعِ، فَقَدْ تَنَبَّهَ اَلْحِسُّ اَلْعِلْمِيُّ مُبَكِّرًا لِظَاهِرَةِ اَلْإِيقَاعِ فِي اَللُّغَةِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، فَنَجِدُ سِيبَوَيْهْ رَائِدُ اَلْبَحْثِ اَللُّغَوِيِّ اَلْعَرَبِيِّ يَرْصُدُ هَذِهِ اَلظَّاهِرَةِ فَيَقُولُ " أُمَّا إِذَا تَرَنَّمُوا؛ أَيُّ اَلْعَرَبَ فَإِنَّهُمْ يُلْحِقُونَ اَلْأَلِفَ وَالْوَاوَ وَالْيَاءَ مَا يُنَوِّنُ وَمَا لَا يُنَوِّنُ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا مَدَّ اَلصَّوْتِ، وَإِنَّمَا أَلْحَقُوا هَذِهِ اَلْمَدِّ فِي حُرُوفِ اَلرَّوِيِّ؛ لِأَنَّ اَلشِّعْرَ وُضْع لِلْغِنَاء التَّرْنِيمْ [٣].

وَمَعَ بِدَايَةِ اَلْقَرْنِ اَلثَّالِثِ اَلْهِجْرِيِّ " نَالَ كِتَابُ (اَلْخَطَابَةُ) لِأَرِسْطُو قِسْطًا وَافِرًا مِنْ اَلْعِنَايَةِ، وَمِنْ ثَمَّ اِنْتَشَرَ مُصْطَلَحُ اَلْإِيقَاعِ بَيْنَ شُرَّاحِ اَلْفَلْسَفَةِ اَلْيُونَانِيَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ؛ اَلْكَنْدِيّ (ت: ٢٧٥) إِلَى اِبْنِ رُشْدٍ (ت: ٥٩٥ ه) ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى كُلًّا مِنْ اَلْفَرَابِي (ت ٣٣٩ ه)، وَأَبِي هِلَالِ اَلْعَسْكَرِيّ(ت:٣٩٥ ه)، وَأَبِي حَيَّانِ اَلتَّوْحِيدِيّ (ت: ٤٠٠ ه)، وَحَازِمِ اَلْقَرْطَاجَنِّي (ت: ٦٨٤ ه)، وَصَارَ مُصْطَلَحًا مُتَدَاوَلاً مُتَشَعِّبًا اَلْمَعَانِي [١]".

نَجِدُ أَبُا هِلَالِ اَلْعَسْكَرِي يَرَى " أَنَّ مِنْ فَضْلِ اَلشِّعْرِ عَلَى اَلنَّثْرِ أَنَّ اَلْأَلْحَانَ اَلَّتِي هِيَ أَجْمَلُ إِذَا سَمِعَهَا ذُو اَلْقَرَائِحِ اَلصَّافِيَةِ، وَالْأَنْفُسُ اَللَّطِيفَةُ لَا تَتَهَيَّأُ صَنْعَتُهَا إِلَّا مِنْ كُلِّ مَظْلُومٍ مِنْ اَلشِّعْرِ، " فَهُنَا جَمْعُ اَلْعَسْكَرِيُّ بَيْنَ اَلشِّعْرِ وَالْمُوسِيقَى وَبَيْنَ اَلْعَلَاقَةِ اَلْمَوْجُودَةِ بَيْنَهُمَا، وَجَعْلَ اَلْإِيقَاعَ " أَسَاسَ

---

[١] يُنْظَر: لِسَانُ اَلْعَرَبِ، لِابْنِ مَنْظُور، دَارُ صَادِرٍ، ط ١، بَيْرُوت ، مَادَّة (و . قِ . ع) ، ج ١٥ ص ٣٥٩.

[٢] يُنْظَر: اَلْمِصْبَاحُ اَلْمُنِيرِ فِي غَرِيبِ اَلشَّرْحِ اَلْكَبِيرِ، أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَلِي اَلْفَيُّومِي اَلْمقْرِي، دَارُ اَلْمَعَارِفِ ، اَلْقَاهِرَةُ ، ط ٢ ، بَيْرُوت ، ج ١، ص٥٥٨.

[٣] يُنْظَر: شَرْحُ شَافِيَةِ اِبْنِ اَلحَاجِبِ، رَضِي اَلدِّين اَلْأَسْتِرَابَاذِي، تَحْقِيقُ: د . عَبْدُ اَلْمَقْصُودِ مُحَمَّد عَبْد اَلْمَقْصُود ، مَكْتَبَةُ اَلثَّقَافَةِ اَلدِّينِيَّةِ ، ط١، ٢٠٠٤م، ج٤، ص٢٤٣.

[١] يُنْظَر: اَلْإِيقَاعُ فِي اَلشِّعْرِ واَلْحَدَاثَةِ، مُحَمَّدٌ عِلْوَان سَالِمَان، دَارُ اَلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ لِلنَّشْرِ، ط ١، اَلْقَاهِرَةُ ، ٢٠٠٨م ، ص١٦.

اَلْغِنَـاءِ، أَمَّـا عَـنْ اَلْمَرْزُوقِـي؛ فَقَدْ ذَهَـبَ إِلَـى نَفْسِ اَلْمُنْحَنَـى اَلَّـذِي اِتَّجَـهَ إِلَيْـهِ أَبُـو هِـلَالِ اَلْعَسْـكَرِي عِنْـدَمَا شَـرَعَ فِـي شَـرْحِ دِيـوَانِ " اَلْحَمَاسَـةِ " لِأَبِـي تَمَـامٍ حِـينَ قَـالَ " وَإِنَّمَـا قُلْنَـا تَخَيَّـرُ مِـنْ لَـدَيْنَا اَلْـوَزْنُ؛ لِأَنَّـهُ لَذِيـذٌ يُطْـرَبُ اَلطَّبْـعُ لِإِيقَاعِـهِ، وَيُمَازِجَهُ بِصَفَائِهِ، كَمَا يُطْرَبُ اَلْفَهْمُ لِصَوَابِ تَرْكِيبِهِ، وَاعْتِدَالُ مَنْظُومَه"[٢].

وَهَـذَا اَلِاهْتِمَـامُ بِعُنْصُـرِ اَلْإِيقَـاعِ اَلشِّـعْرِيِّ، وَالْإِلْحَـاحِ عَلَـى حَتْمِيَّـةِ اَلِاقْتِـرَانِ بَيْنَهُمَـا فِـي اَلـذَّوْقِ اَلْعَرَبِـيِّ، قَـدْ تَجَـاوَزَ اَلْإِيقَـاعُ فِـي بُعْـدِهِ اَلزَّمَنِـيِّ حُـدُودَ اَلشِّـعْرِ عِنْـد اَلْجَـاحِظِ حِـينَ قَـالَ: " كَانَـتْ اَلْعَـرَبُ فِـي جَاهِلِيَّتِهَـا تَحْتَـالُ فِـي تَخْلِيـدِهَا بِـأَنْ تَعْتَمِـدَ فِـي ذَلِـكَ عَلَـى اَلشِّـعْرِ اَلْمَـوْزُونِ وَالْكَـلَامِ اَلْمُقَفَّـى، وَكَـانَ ذَلِـكَ هُـوَ دِيوَانُهَا[٣].

أَمَّـا اَلنُّقَّـادُ نَجِـدُ أَوَّلَ نَاقِـدٍ عَرَبِـيٍّ اِسْـتَعْمَلَ مُصْـطَلَحَ اَلْإِيقَـاعِ هُـوَ اِبْـنُ طَبَاطَبَـا فِـي كِتَابِـهِ " عِيَـارُ اَلشِّـعْرِ " عِنْـدَمَا قَـالَ : " وَلِلشَّـعْرِ اَلْمَـوْزُونِ إِيقَـاعٌ يُطْـرَبُ اَلْفَهْمُ لِصَـوَابِهِ، وَمَـا يَـرُدُّ عَلَيْـهِ مِـنْ حُسْـنِ تَرْكِيبِـهِ، وَاعْتِـدَالِ أَجْزَائِـهِ، فَـإِذَا اِجْتَمَـعَ اَلْفَهْـمُ مَـعَ صِـحَّةِ وَزْنِ اَلشِّـعْرِ، وَصِـحَّةِ اَلْمَعْنَـى، وَعُذُوبَـةِ اَللَّفْـظِ، فَصَـفَاءُ مَسْـمُوعَة، وَمَعْقُولَـة مِـنْ اَلْكَـدَرِ؛ تَـمَّ قَبُولُـهُ وَاشْـتِمَالُهُ عَلَيْـهِ، وَإِنَّ نَقْـصَ جُـزْءٌ مِـنْ أَجْزَائِـهِ اَلَّتِـي يَعْمَـلُ بِهَـا؛ وَهِـيَ اِعْتِـدَالُ اَلْـوَزْنِ، وَصَـوَابُ اَلْمَعْنَـى، وَحُسْنُ اَلْأَلْفَاظِ؛ كَانَ إِنْكَارُ اَلْفَهْمِ إِيَّاهُ عَلَى قَدْرِ نُقْصَانِ أَجْزَائِهِ "[١].

اَلَّـذِي نَسْتَشِـفُّهُ - لِأَوَّلِ وَهْلَـةٍ - مِـنْ هَـذَا اَلـنَّصِّ هُـوَ اَلْجَمْـعُ بَـيْنَ اَلْـوَزْنِ وَالْإِيقَـاعِ، وَأَنَّ اَلْأَخِيـرَ مُقْتَـرِنٌ بِالشِّـعْرِ اَلْمَـوْزُونِ، وَمَـا يَحْصُـلُ اَلطَّـرَبُ لِلْفَهْـمِ، وَإِدْرَاكُ حُسْـنِ اَلتَّرْكِيـبِ، وَصِـحَّةُ اَلْمَعْنَـى؛ وَإِذَا اِخْتَـلَّ اِعْتِـدَالُ اَلْـوَزْنِ، وَصَـوَابُ اَلْمَعْنَـى، وَحُسْـنُ اَلْأَلْفَـاظِ؛ تَتَـأَثَّرُ اَلصُّـورَةُ، وَيَقِـلَّ اَلْفَهْـمُ عَلَـى حَسَـبِ نُقْصَـانِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ.

إِنَّ هَـذَا اَلتَّوَسُّـعَ فِـي دَلَالَـةِ اَلْإِيقَـاعِ مَـرَدُّهُ أَنَّ اَلْإِيقَـاعَ يَشْـمَلُ كُـلَّ شَـيْءٍ، إِذْ " هُنَـاكَ إِيقَـاعٌ لِلطَّبِيعَـةِ وَآخَـرُ لِلْعَمَـلِ، وَإِيقَـاعٌ لِلْإِشَـارَاتِ اَلضَّـوْئِيَّةِ، وَإِيقَـاعٌ

---

[٢] يُنْظَر: اَلْحَيَوَانُ، اَلْجَاحِظ ،ص٨٥.

[٣] نَفْسُهُ، ص ٥٣ ، ٥٤

[١] يُنْظَر: عِيَارُ اَلشِّعْرِ، اِبْنُ طَبَاطَبَا، تَحْقِيقٌ: عَبَّاس عَبْدِ اَلسَّتَّار - دَارُ اَلْكُتُبِ اَلْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوت - ط٢٠٠٥م، ص٢.

لِلْمُوسِيقِيّ، وَهُنَاكَ بِالْمَعْنَى اَلْمَجَازِيِّ إِيقَاعَاتٌ لِلْفُنُونِ اَلتَّشْكِيلِيَّةِ، فَالْإِيقَاعُ ظَاهِرَةٌ لُغَوِيَّةٌ عَامَّةٌ"[٢].

وَيَذْهَبُ مُحَمَّدُ اَلْعيَاَّشِي إِلَى أَنَّ مَفْهُومَ اَلْإِيقَاعِ يَتَوَزَّعُ عَلَى ثَلَاثِ حَرَكَاتٍ: اَلْحَرَكَةُ اَللَّفْظِيَّةُ (اَلشِّعْرُ)، وَالْحَرَكَةُ اَلصَّوْتِيَّةُ (اَلْمُوسِيقَى)، وَالْحَرَكَةُ اَلْبَدَنِيَّةُ(اَلرَّقْصُ) ، وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا مَادِّيًّا كَمَا يَرَى أَصْحَابُ اَلنَّزْعَةُ اَلْمَادِّيَّةُ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ كَامِنٌ فِي قَلْبِ اَلْفَنَّانِ اَلَّذِي يُخْرِجَهُ لِلنَّاسِ فِي قَالَبٍ لَفْظِيٍّ أَوْ صَوْتِيٍّ أَوْ حَرَكِيٍّ، إِذْ تَعْمَلُ اَلْمَادَّةُ عَلَى تَجْسِيمِهِ حِينَ يَتَلَبَّسُ بِهَا فَيَتَّخِذُ شَكْلاً مَادِّيًّا[٣]، أَمَّا صَفِي اَلدِّين اَلْبَغْدَادِيِّ فَيَذْهَبُ لِتَعْرِيفِ اَلْإِيقَاعِ عَلَى " أَنَّهُ مَجْمُوعَةُ نَقَرَاتٍ يَتَخَلَّلُهَا أَزْمِنَةٌ مُحَدَّدَةَ اَلْمَقَادِيرِ عَلَى نِسَبٍ وَأَوْضَاعٍ مَخْصُوصَةٍ بِأَدْوَارٍ مُتَسَاوِيَةٍ يُدْرِكُ تَسَاوِيَ تِلْكَ اَلْأَدْوَارِ مِيزَانَ اَلطَّبْعِ اَلسَّلِيمِ "[٤].

فَالْإِيقَاعُ إِذْنٌ سَابِقٌ لِلْمُوسِيقَى وَالشِّعْرِ وَالرَّقْصِ، فَهُوَ مُسْتَوْحَى مِنْ اَلطَّبِيعَةِ وَمِنْ حَرَكَةِ اَلْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ اَلْفُنُونُ سَابِقَةَ اَلذِّكْرِ.

وَهَذِهِ اَلنَّظْرَةُ لِلْإِيقَاعِ تَقْتَرِبُ كَثِيرًا مِنْ نَظْرَةِ(ت. س. إِلْيُوتْ) اَلَّذِي يَرَى أَنَّ اَلْقَصِيدَةَ تَمِيلُ " إِلَى تَحْقِيقِ ذَاتِهَا أَوَّلاً بِاعْتِبَارِهَا إِيقَاعًا مُسْتَقِلًّا قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى اَلتَّعْبِيرِ بِالْكَلِمَاتِ، وَأَنَّ هَذَا اَلْإِيقَاعَ يُمْكِنُ أَنْ يُوَلِّدَ اَلْفِكْرَةَ وَالصُّورَةَ"[١].

إِنَّ كَلِمَةَ إِيقَاعِ " Rythone » مَأْخُوذَةٌ مِنْ اَلْيُونَانِيَّةِ Ruthmos، وَهَذِهِ مُشْتَقَّةٌ بِدَوْرِهَا مِنْ كَلِمَةِ Rheum بِمَعْنَي" سَالَ "،

---

[٢] نَظَرِيَّةُ اَلْأَدَبِ، رِينِيهْ ويلِيك وَأُوسْتِنْ وَارِين، تَرْجَمَة: مُحْيِي اَلدِّينْ صُبْحِي، اَلْمُؤَسَّسَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوت ١٩٨٧م، ص١٧٠.

[٣] يُنْظَر: نَظَرِيَّةُ إِيقَاعُ اَلشِّعْرِ اَلْعَرَبِيِّ، مُحَمَّد اَلْعيَاَّشِي، اَلْمَطْبَعَةُ اَلْعَصْرِيَّةُ، تُونِس ١٩٧٦ م، ص٤٠.

[٤] اَلْإِيقَاع فِي اَلشِّعْرِ اَلْعَرَبِيِّ، خَلِيلْ اَلْيسُوعِيْ، مَجَلَّةُ اَلْمَشْرِقِ، اَلْعَدَدُ ٢٠ - أَفْرِيلْ ١٩٠٠ – ص٩٠.

[١] فِي اَلشَّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، ت. س.إِلْيُوتْ، تَرْجَمَةُ: مُحَمَّد جَدِيد، دَارُ كَنْعَان لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ، ط ١، دِمَشْق ١٩٩١ ، ص ٤٢.

وَحَسَبَ" بِنْفِينِيسِتْ " تَعْنِي هَذِهِ اَلْكَلِمَةُ شَكْلَ كُلِّ مَا لَيْسَ ذَا نِظَامٍ صَارِمٍ . .. إِنَّهُ شَكْلٌ اِرْتِجَالِيٌّ وَمُتَغَيِّرٌ "[٢]،

وَيُحِيلُ فِعْلُ" اَلسَّيَلَان " إِلَى حَرَكَةٍ مُتَغَيِّرَةٍ بِانْتِظَام يَنْتِجُ مِنْ خِلَالِهَا إِيقَاعَاتٌ مُتَنَاسِقَةٌ تَصْحَبُهَا أَصْوَاتًا عَلَى شَكْلِ نَغَمَاتٍ يُطْرَبُ لَهَا اَلسَّمْعُ، وَإِلَى شَيْءٍ قَرِيبٍ مِنْ هَذَا يُشِيرُ" لُوتْمَانْ" إِلَى اَلْإِيقَاعِ بِقَوْلِهِ" ذَلِكَ اَلِانْتِظَامِ وَالتَّنَاغُمِ اَلزَّمَنِيِّ اَلَّذِي يُشَكِّلُ أَيَّ عَمَلٍ مُنْتَظِمٍ »[٣]، وَبِهَذَا اَلشَّكْلِ يَتَوَلَّدُ اَلْإِيقَاعُ مِنْ خِلَالِ تَوْظِيفِ عُنْصُرٍ مُهِمٍّ هُوَ اَلتَّكْرَارُ اَلدَّوْرِيُّ.

وَقَدْ فَرَّقَ" لُوتْمَانْ " بَيْنَ اَلتَّكْرَارِ أَوْ اَلتَّرَدُّدِ فِي اَلطَّبِيعَةِ وَالتَّكْرَارِ فِي اَلشِّعْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ نَجِدُ أَنْفُسُنَا أَمَام نَوْعَيْنِ مِنْ اَلْإِيقَاعِ: اَلْإِيقَاعُ اَلْمُتَعَلِّقُ بِالطَّبِيعَةِ، وَالْإِيقَاعُ اَلشِّعْرِيُّ؛ يَتَمَثَّلُ اَلْأَوَّلَ فِي تَكْرَارِ أَوْضَاعٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ خِلَالِ فَوَارِقِ زَمَنِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ كَتَوَالِي فُصُول اَلسَّنَةِ، وَيَتَمَثَّلَ اَلثَّانِي فِي اَلْإِيقَاعِ اَلَّذِي هُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنْ اَلْأَلْحَانِ اَلَّتِي هِيَ أَصْوَاتٌ نَاتِجَةٌ عَنْ اَلِانْتِقَالِ بَيْنَ أَجْزَاءِ اَلْوَحَدَاتِ اَلْكُبْرَى اَلَّتِي تُمَثِّلُ نَغَمَاتًا لِلْإِيقَاعِ، كَمَا نَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ اَلْإِيقَاعَ هُوَ تَكْرَارُ اَلتَّفْعِيلَةِ عَلَى مُسْتَوَى اَلْبَيْتِ اَلشِّعْرِيِّ [٤].

مِمَّا سَبَقَ نَسْتَنْتِجُ أَنَّ اَلْإِيقَاعَ مُرْتَبِطٌ بِالْوَزْنِ مِثْلَمَا هُوَ مُرْتَبِطٌ بِالْغِنَاءِ، وَأَنَّ كِلَاهُمَا يَتَمَيَّزَانِ بِالتَّسَاوِي بَيْنَ اَلْأَجْزَاءِ اَلَّتِي هِيَ أَدْوَارٌ أَوْ اَلْمَقَادِيرِ وَالتَّرْتِيبِ، وَأَنَّ اَلْوَزْنَ مَا هُوَ إِلَّا جُزْءٌ مِنْ اَلْإِيقَاعِ.

يَقُولُ أَبُو حَيَّانِ اَلتَّوْحِيدِي أَنَّ " مَنْ فَضَائِل اَلنَّظْمِ أَنَّهُ لَا يُغَنِّي إِلَّا بِالْإِيقَاعِ اَلصَّحِيحِ؛ لِأَنَّ اَلطَّنْطَنَاتِ وَالنَّقَرَاتِ وَالْحَرَكَاتِ وَالسّكَنَاتِ لَا تَتَنَاسَبُ إِلَّا بَعْدَ اِشْتِمَالِ اَلْوَزْنِ وَالنَّظْمِ عَلَيْهَا"[١]، فَهَذَا حُكْمُ مِنْ تَخْصِيصِ اَلْإِيقَاعِ فِي اَلطَّنْطَنَات وَالنَّقَرَاتِ والسَكَنَاتِ وَالْحَرَكَاتِ وَتَقْيِيدِ جَمِيعِهَا بِحُكْمِ اَلْوَزْنِ.

---

(٢) Garde Tamme Dictionnaire de Critique Litterare Ceres Joelle .edition. Tums 1998, p. 274

(٣) تَحْلِيلُ اَلنَّصِّ اَلشِّعْرِي: بِنْيَةِ اَلْقَصِيدَة، يورِي لُوتمَانْ، تَرْجَمَةٌ: مُحَمَّد فَتُوح أَحْمَد، دَارُ اَلْمَعَارِفِ ، اَلْقَاهِرَةُ ١٩٩٧ ، ص ٧٠

(٤) نَفْسُهُ، اَلصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

(١) اَلْإِمْتَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ، أَبُو حَيَّانْ اَلتَّوْحِيدِي، مَكْتَبَةُ اَلْجَيَّاة، بِيرُوت، ج ٢ ، (د ت)، ص ١٣٦.

يَقُولُ اَلْمَرْزُوقِي: " تَخَيِّر مِنْ لَذِيذِ اَلْوَزْنِ؛ لِأَنَّ لَذِيذَه يَطْرِبُ اَلطَّبْعَ لِإِيقَاعِهِ، وُيُمَازِجُ بِصِفَاتِهِ كَمَا يُطْرَبُ اَلْفَهْمُ لِصَوَابِ تَرْكِيبِهِ "[٢]، فَهُوَ يَرَى فِي اَلْإِيقَاعِ ذَلِكَ اَلْأَثَرِ اَلْجَمِيلِ اَلَّذِي يَقَعُ عَلَى اَلنَّفْسِ.

لِكَيْ يَتَوَفَّرَ اَلْإِيقَاعُ فِي اَلشِّعْرِ لَابُد مِنْ أَنْ يَكُونَ مَوْزُونًا يَتَوَفَّرُ فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مِنْ اَلْعَنَاصِرِ مُتَمَثِّلَةً فِي حُسْنِ اَلتَّرْكِيبِ، وَصِحَّةِ اَلْوَزْنِ وَالْمَعْنَى وَصَوَابِهِ، وعُذُوبَةِ اَللَّفْظِ، وَإِيقَاعِ اَلْأَصْوَاتِ، وَإِيقَاعِ اَلْمَعْنَى؛ فَالْأَوَّلُ؛ يَتَكَوَّنُ مِنْ اَلْوَزْنِ، وَعُذُوبَةُ اَللَّفْظِ اَلَّذِي يُرَاعِي اِنْسِجَامَ اَلتَّفَاعِيلِ، وَتَجَاوُبَ اَلْحُرُوفِ، وَحُسْنَ اَلْأَخْذِ، وَمُرَاعَاةَ اِتِّسَاقِ أَصْوَاتِ اَلْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ فِيمَا بَيْنَهَا، أَمَّا اَلثَّانِي؛ فَيَتَكَوَّنُ مِنْ وَزْنِ اَلْمَعْنَى وَصَوَابِهِ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ اَلْإِيقَاعَيْنِ حَسَنَ اَلتَّرْكِيبِ، وَاعْتِدَالَ اَلْأَجْزَاءِ، وَفِي اَلِاخْتِلَافِ بَيْنَ اَلْمَسْمُوعِ اَلَّذِي هُوَ اَلْأَصْوَاتُ وَبَيَّنَ اَلْمَعْقُولِ اَلَّذِي هُوَ اَلْمَبْنَى، وَفِي اَلِاتِّفَاقِ وَالِائْتِلَافِ تَصْيرُ اَلصِّلَةُ بَيْنَ اَلصَّوْتِ وَالْمَعْنَى صِلَةً وَطِيدَةً وَوَثِيقَةً مِثْلَمَا هِيَ بَيْنَ اَلسَّمْعِ وَالْبَصَرِ يَقُولُ عَبْدُ اَلْعَزِيزِ اَلْجُرْجَانِي: " اَلْكَلَامُ أَصْوَاتٌ مَحَلُّهَا مِنْ اَلْأَسْمَاعِ مَحَلُّ اَلنَّوَاظِرِ اَلْإِبْصَارُ"[٣]؛ بِمَعْنَى؛ اِنْسِجَامُ اَلصُّورَةِ مَعَ اَلصَّوْتِ هُوَ اَلَّذِي يَحْدُثُ فِي اَلنَّفْسِ اِهْتِزَازًا وَشُعُورًا بِالْمُتْعَةِ.

وَيَأْتِي ذِكْرُ اَلْإِيقَاعِ عِنْد اَلسِّجِلْمَاسِي بِقَوْلِهِ: " اَلشِّعْرُ هُوَ اَلْكَلَامُ اَلْمُخَيَّلُ اَلْمُؤَلَّفُ مِنْ أَقْوَالٍ مَوْزُونَةٍ وَمُتَسَاوِيَةٍ عِنْدُ اَلْعَرَبِ مُقَفَّاة » وَمَعْنَى كَوْنُهَا مَوْزُونَةٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَدَدٌ إِيقَاعِيٌّ وَمَعْنَى كَوْنُهَا مُتَسَاوِيَةٌ هُوَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ قَوْلٍ مِنْهَا مُؤَلَّفًا مِنْ أَقْوَالٍ إِيقَاعِيَّةٍ» فَإِنَّ عَدَدَ زَمَانِهِ مُسَاوٍ لِعَدَدِ زَمَانِ اَلْآخَرِ وَمَعْنَى كَوْنُهَا مُقَفَّاةٌ؛ هُوَ أَنْ تَكُونَ اَلْحُرُوفُ اَلَّتِي يَخْتِمُ بِهَا كُلّ قَوْلٍ مِنْهَا وَاحِدةً"[١].

---

[٢] شَرْحُ دِيوَانُ اَلْحَمَاسَةِ، اَلْمَرْزُوقِي، تَحْقِيق: أَحْمَدُ أَمِينْ، وَعَبْد اَلسَّلَامِ هَارُون، دَارُ اَلْجِيلِ، بَيْرُوت، ص ١٠.

[٣] اَلْوَسَاطَةُ بَيْنَ اَلْمُتَنَبِّيْ وَخُصُومِهِ، عَبْدُ اَلْعَزِيزِ اَلْجُرْجَانِي، تَحْقِيق: مُحَمَّدُ أَبُو اَلْفَضْل وَعَلِي اَلْبَجَاوِي، ط ٢، ص٤١٢.

[١] اَلْمَنْزَعُ اَلْبَدِيعُ فِي تَجْنِيسِ أَسَالِيبَ اَلْبَدِيعِ، اَلسِّلِجْمَاتِي أَبُو مُحَمَّد اَلْقَاسِم: تَحْقِيق: عَلَّالُ اَلْغَازِيِّ، مَكْتَبَةُ اَلْمَعَارِفِ، اَلرِّبَاطُ، ١٩٨٠ م ، ص٢٥٧.

مِمَّـا سَـبَقُ نُلَاحِـظُ أَنَّ تَعْرِيـفَ اِبْـنُ طَبَاطَبَـا أَشْـمَلُ وَأَعَـمُّ مِـنْ تَعْرِيـفِ اَلسِّجِلْمَاسِـي، وَلَكِـنْ كِلَاهُمَـا يَعُـودَانِ مَعًـا بِالْإِيقَـاعِ إِلَـى اَلْـوَزْنِ وَمِنْـهُ إِلَـى اَلشِّعْرِ.

وَيَحْـذُو حَـازِمُ اَلْقَرْطَـاجِنِيّ حَـذْوَ اَلسِّجِلْمَاسِـي، فَقَـدْ رَبَـطَ بَـيْنَ اَلْإِيقَـاعِ وَالتَّخْيِيـلِ؛ حَيْـثُ رَكَّـزَ عَلَيْـهِ فِـي قَوْلِـهِ :" إِنَّ اَلشِّـعْرَ يَتَـأَلَّفُ مِـنْ اَلتَّخَايِيـلِ اَلضَّـرُورِيَّةِ وَهِـيَ تَخَايِيـلُ اَلْمَعَـانِي مِـنْ جِهَـةِ اَلْأَلْفَـاظِ، وَتْخَايِيـلُ مُسْـتَحَبَّةٌ؛ وَهِـيَ تَخَايْيِـلُ اَللَّفْـظِ فِـي نَفْسِـهِ، وَتْخَايِيـلُ اَلْأُسْـلُوبِ، وَتْخَايِيـلُ اَلْأَوْزَانِ وَالـنَّظْمِ، فَالشِّـعْرُ عِنْـدُهُ كَـلَامٌ مُخَيَّـلٌ مَـوْزُونٌ، وَيُؤَكِّـدُ مَـا جَـاءَ بِـهِ فِـي اَلْقَـوْلِ اَلْأَوَّلِ" وَالتَّخْيِيلُ مِنْ جِهَةِ اَلنَّظْمِ وَالْوَزْنِ" [٢].

وَقَـدْ لَاحَـظَ د. حَـاتِمُ اَلصِّـكْر غِيَـابَ مُصْـطَلَحِ "اَلْإِيقَـاع" عَـنْ اَلْمَعَـاجِمِ اَلْعَرَبِيَّـةِ اَلْأُولَـى، وَمِنْهَـا مُعْجَـمُ " اَلْعَـيْن " لْوَاضِـعِ عِلْـم اَلْعُـرُوضِ اَلْخَلِيـل بْـن أَحْمَـد، وَيَعْـزُو اَلصِّـكْرُ هَـذَا اَلْغِيَـابَ إِلَـى أَنَّ اَلْعُـرُوضَ اَلْعَرَبِـيَّ قَـدْ وُضِـعَتْ قَوَاعِـدُهُ وَقَوَانِينُـه اِعْتِمَـادًا عَلَـى مُعْطَيَـاتٍ صَـوْتِيَّةٍ مَـأْخُوذَةٍ مِـنْ رِوَايَـةِ اَلشِّـعْرِ وَإِنْشَـادِهِ، وَمِـنْ ثَـمَّ فَقَـدْ رُوعِـيَ فِيـهِ اَلْمُـدَدُ اَلزَّمَنِيَّـةُ وَالتَّسَـاوِي فِـي اَلْحَرَكَـاتِ وَالسُّكُنَاتِ، أَيْ مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ تَعْبِيرًا دَقِيقًا بِلَفْظَةِ "اَلْوَزْنِ" [٣].

إِنَّ اَلْإِشْـكَالِيَّةَ لَا تَقَـعُ عَلَـى أَصْـلِ اَلْمُصْـطَلَحِ فَحَسْـبُ، بَـلْ تَتَعَـدَّى ذَلِـكَ إِلَـى اَلْجَـدَلِ حَـوْلَ مَفْهُـومِ اَلْإِيقَـاعِ وَصِـلَتِهِ بِـالْوَزْنِ، إِذْ يَـرَى اَلْـبَعْضُ أَنَّ اَلْإِيقَـاعَ يَشْـمَلُ اَلْـوَزْنَ، فَهَـذَا يَـدْخُلُ فِـي تَشْـكِيلِ بِنْيَـةِ اَلْإِيقَـاعِ، فَـالْوَزْنُ عِبَـارَة عَـنْ قَوَالِبَ عَرُوضِيَّةٍ يُسْتَعَانُ بِهَا فِي تَنْظِيمِ اَلْإِيقَاعِ وَتَوْجِيهِهِ.

فَيُشِـيرُ إِلَـى أَنَّ اَلشِّـعْرَ نَمَطَـيْنِ مِـنْ اَلْمُوسِـيقَى، يَتَمَثَّـلَ اَلـنَّمَطُ اَلْأَوَّلُ فِـي اَلْـوَزْنِ، وَهُـوَ نُـو طَـابَعٍ خَـارِجِيٍّ، يُقَابِلُـهُ نَمَـطٌ ثَـانٍ ذُو طَـابَعٍ دَاخِلِـيٍّ وَهُـوَ اَلْإِيقَـاعُ rythme ، وَمِيـزَةُ هَـذَا اَلـنَّمَطِ أَنَّـهُ يَتَأَسَّـسُ عَلَـى قَاعِـدَتَيْنِ: قَاعِـدَةُ

---

[٢] مِنْهَاجُ اَلْبُلَغَاءِ وَسِرَاجُ اَلْأُدَبَاءِ، حَازِمُ اَلْقَرْطَاجَنِّيْ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدٌ اَلْحَبِيب بْن اَلْخوجَة - دَارُ اَلْكُتُبِ اَلشَّرْقِيَّةِ - تُونِس ،١٩٦٦م، ص ٨٩.

[٣] يُنْظَرُ: حُلْمُ اَلْفَرَاشَةِ، اَلْإِيقَاعُ اَلدَّاخِلِيُّ وَالْخَصَائِصُ اَلنَّصِّيَّةُ فِي قَصِيدَةِ اَلنَّثْرِ، حَاتِم اَلصّكْر، اَلْهَيْئَةُ اَلْمِصْرِيَّةُ اَلْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ، ط ٣، ص ٢٤.

اَلْغِيَابِ؛ غِيَابِ أَيَّةِ صِيغَةٍ جَاهِزَةٍ يَصُبُّ اَلشَّاعِرُ فِيهَا تَجْرِبَتَهُ اَلشِّعْرِيَّةَ، وَقَاعِدَة اَلشُّعُورُ اَلَّتِي تَتَلَخَّصُ فِي اَلتَّنَاغُم بَيْنَ اَلْإِيقَاعِ وَالشُّعُورِ"[١].

بِالنَّظَرِ إِلَى كُلِّ هَذِهِ اَلتَّعَارِيفِ اَلسَّابِقَةِ نَجِدُهَا لَا تَخْلُو مِنْ اَلتَّرْكِيزِ عَلَى عُنْصُرِ اَلْوَزْنِ،ء وَهَذَا يُحِيلُنَا إِلَى تَعْرِيفٍ نَقْدِيٍّ خُصَّ لِلْوَزْنِ عَلَى أَسَاسِ تَسَاوِي زَمَنِ اَلنُّطْقِ: " اَلْوَزْنُ هُوَ أَنْ تَكُونَ اَلْمَقَادِيرُ اَلْمُقَفَّاةُ تَتَسَاوَى فِي أَزْمِنَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ؛ لِاتِّفَاقِهَا فِي عَدَدِ اَلْحَرَكَاتِ وَالسُّكُنَاتِ وَالتَّرْتِيبِ"[٢].

فقَدْ كَانَ إِدْرَاكُ اَلْعَرَبِ لِكُلِّ هَذِهِ اَلْآصِرَةِ اَلْقَوِيَّةِ اَلَّتِي تَرْبُطُ بَيْنَ اَلْإِيقَاعِ وَالشِّعرِ هْدَفَهَا اَلْأَوَّلِ اَلسَّعْيَ وَرَاءَ جَمَالِيَّاتِ اَلنَّصِّ اَلشِّعْرِيِّ، وَمِمَّا سَبَقَ يُمْكِنُ اِسْتِخْلَاص أَنَّ: أَنَّ مُصْطَلَحَ اَلْإِيقَاعِ أَشْمَلُ وَأَعَمُّ مِنْ كَوْنِهِ مُجَرَّدَ وِزَّتْ وَمُوسِيقَى، بَلْ إِنَّ عَنَاصِرَ اَلْإِيقَاعِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِوُجُودِ جَمِيعِ عَنَاصِرِهِ اَلصَّوْتِيَّةِ، وَالنَّحْوِيَّةِ، وَالصَّرْفِيَّةِ، وَالْمُعْجَمِيَّةِ، وَالْبَلَاغِيَّةِ، وَالدَّلَالِيَّةِ . . . إِلَخْ.

ثَانِيًا: اَلدَّلَالَةُ

اَلدَّلَالَةُ لُغَةً:

اَلدَّلَالَةُ فِي اَلْمُعْجَمِ مِنْ " دَلَّ " مَادَّة " دَلَلَ " اَلَّتِي تَدُلُّ عَلَى اَلْإِرْشَادِ إِلَى اَلشَّيْءِ وَالتَّعْرِيفِ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ : « دَلَّهُ عَلَيْهِ يَدلهُ عَلَى اَلطَّرِيقِ، أَيْ سَدَّدَهُ إِلَيْهِ، اَلْمُرَادُ بِالتَّسْدِيدِ: آرَاءَهُ اَلطَّرِيقَ»[١]، وَمِنْ اَلْمَجَازِ: « اَلدَّالُ عَلَى اَلْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، وَدَلَّهُ عَلَى اَلصِّرَاطِ اَلْمُسْتَقِيمِ»[٢] : أَرْشَدَهُ نَحْوهُ وَهُدَاهُ هُنَا يَبْرزُ دَورُ اَلتَّطَوُّرِ اَلدَّلَالِيِّ مِنْ اَلْحِسِّيِّ إِلَى اَلْعَقْلِيِّ اَلْمُجَرَّدِ.

جَاءَ فِي لِسَانِ اَلْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ مَادَّة "دَلَّ":« اَلدَّلِيلُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ، وَالدَّلِيلُ اَلدَّال، وَقَدْ دَلَّهُ عَلَى اَلطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً بِفَتْحِ اَلدَّالِ وَكَسْرِهَا

---

[١] يُنْظَر: أُوهَاجُ اَلْحَدَاثَةِ: دِرَاسَةٌ فِي اَلْقَصِيدَةِ اَلْمُعَاصِرَةِ، نَعِيمُ اَلْيَافِي، دِمَشْق، اِتِّحَادُ اَلْكُتَّابِ اَلْعَرَبِ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٤،٢٥.
[٢] نَفْسُهُ، ص ٢٦٣.

[١] يُنْظَر: تَاجُ اَلْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ اَلْقَامُوسِ، اَلزَبِيدِي (اَلسَّيِّدُ مُحَمَّدْ مُرْتَضَى اَلْحُسْنِيّ)، مَادَّة: " دَلّلَ " ، اَلْكُوَيْتُ ،ج ٢٨، ص ٤٩٧ – ٤٩٨.
[٢] يُنْظَر: أَسَاسُ اَلْبَلَاغَةِ، اَلزَّمَخْشَرِي، دَارُ اَلْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوت ١٩٨٢ م، ص ١٣٤.

وَضَـمِّهَا، وَالْفَـتْحُ أَعْلَـى ، يَقُـولُ سِـيبَوَيْهْ:« وَالـدَّلِيلُ عِلْمُـهُ بِالدَّلَالَـةِ وَرُسُـوخِهِ فِيهَا...»[٣]، بِمَعْنَى اَلْإِرْشَادُ أَوْ اَلْعَلَمُ بِالطَّرِيقِ اَلَّذِي يَدُلُّ اَلنَّاسَ وَيَهْدِيهِمْ.

-اَلدَّلَالَةُ اِصْطِلَاحًا:

تَعَدَّدَتْ تَعْرِيفَاتُ اَلدَّلَالَةِ بَيْنَ اَلْعُلَمَاءِ نَذْكُرُ مِنْهَا:

- <u>اَلرَّاغِبُ اَلْأَصْفَهَانِي (تـ٥٠٢هـ)</u> :

يَقُـولُ اَلرَّاغِـبُ اَلْأَصْـفَهَانِي فِـي مَـادَّة" دَلَّ ": « اَلدَّلَالَـةُ مَـا يَتَوَصَّـلُ بِـهِ إِلَـى مَعْرِفَـةِ اَلشَّـيْءِ كَدَلَالَـةِ اَلْأَلْفَـاظِ عَلَـى اَلْمَعْنَـى، وَدَلَالَـةِ اَلْإِشَـارَاتِ وَالرُّمُـوزِ وَالْكِتَابَـةِ وَالْعُقُـودِ فِـي اَلْحِسَـابِ، وَسَـوَاء كَـانَ ذَلِـكَ بِقَصْـدٍ مِمَّـنْ يَجْعَلُـهُ دَلَالَـةً أَوْ لَـمْ يَكُـنْ بِقَصْـدٍ كَمَـنَ يَـرَى حَرَكَـةَ إِنْسَـانٍ فَيَعْلَمُ أَنَّـهُ حَـيٌّ»[٤]، مِـنْ هُنَـا يَتَبَـيَّنُ مَعْنَـى اَلدَّلَالَـةِ بِصُـورَةٍ وَاضِـحَةٍ، وَهُـوَ دِرَاسَـةُ مَـا يَـدُلُّ عَلَـى شَـيْءٍ يَتَوَصَّـلُ بِـهِ إِلَـى مَعْنًـى، وَالْأَلْفَـاظُ مِـنْ أَكْثَـرِ اَلرُّمُـوزِ دَلَالَـةً عَلَـى اَلْمَعْنَـى، وَأَكْثَرُهَـا إِشَـارَةً وَدِقَّـةً فِـي اَلتَّعْبِيـرِ، وَهُـوَ يُشِـيرُ إِلَـى اَلدَّلَالَـةِ اَللِّسَـانِيَّةِ وَغَيْـرِ اَللِّسَانِيَّةِ.

-اَلشَّرِيفُ اَلْجُرْجَانِي ت (٨١٦ هـ):

عَـرَّفَ اَلشَّـرِيفُ اَلْجُرْجَـانِي اَلدَّلَالَـةَ بِأَنَّهَـا:« هِـيَ كَـوْنُ اَلشَّـيْءِ بِحَالَـةٍ يَلْـزَمُ مِـنْ اَلْعَلَـمِ بِـهِ، اَلْعَلَـمُ بِشَـيْءٍ آخَـرٍ، وَالشَّـيْءُ اَلْأَوَّلُ هُـوَ اَلـدَّالُ، وَالثَّـانِي هُـوَ اَلْمَـدْلُولُ» [١]، وَهُـوَ تَعْرِيـفٌ يُشِـيرُ إِلَـى اَلْمَعْنَـى اَلْعَـامِّ لِكُـلِّ رَمْـزٍ إِذَا عُلِـمَ كَـانَ دَالًّا عَلَـى شَـيْءٍ آخَـرَ مِثْـلِ: وُجُـودُ اَلـدُّخَّانِ دَلِيـلٌ عَلَـى اَلنَّـارِ، ثُـمَّ يَنْتَقِـلُ مِـنْ اَلْعَـامِ إِلَـى اَلْخَـاصِّ، فَيَعْـرِفُ اَلدَّلَالَـةَ اَلْخَاصَّـةً بِالْأَلْفَـاظِ بِاعْتِبَارِهَـا مِـنْ اَلرُّمُـوزِ اَلدَّالَّـةِ فَيَقُـولُ: « وَالدَّلَالَـةُ اَللَّفْظِيَّـةُ اَلْوَضْـعِيَّةُ هِـيَ كَـوْنُ اَللَّفْـظِ بِحَيْـثُ مَتَـى أَطْلَـقَ أَوْ تَخُيِـلَ فْهِـمِ مِنْـهُ مَعْنَـاهُ لِلْعِلْـمِ بِوَضْـعِهِ، وَهِـيَ اَلْمُنْقَسِـمَةُ إِلَـى اَلْمُطَابَقَـةِ وَالتَّضْـمِينِ وَالِالْتِـزَامِ؛ لِأَنَّ اَللَّفْـظَ اَلـدَّالَ بِالْوَضْـعِ يَـدُلُّ عَلَـى تَمَـامِ مَـا وُضِـعَ لَـهُ بِالْمُطَابَقَـةِ، وَعَلَى جُزْئِهِ بِالتَّضَمُّنِ، وَعَلَى مَا يُلَازِمُهُ فِي اَلذِّهْنِ بِالِالْتِزَامِ» [٢].

---

[٣] يُنْظَر: لسان العرب، ابن منظور "مادة "دلل"، ص ٣٩٤ – ٣٩٥ .

[٤] يُنْظَر: اَلْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ اَلْقُرْآنِ، اَلْأَصْفَهَانِي اَلْحُسَيْن بْن مُحَمَّد، رَاجَعَهُ: وَائِل أَحْمَد عَبْد اَلرَّحْمَن، اَلْمَكْتَبَةُ اَلتَّوْفِيقِيَّةُ، اَلْقَاهِرَةُ ٢٠٠٣ م، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

كَمَا أَشَارَ اَلْجُرْجَانِي إِلَى اَلدَّلَالَةِ اَللِّسَانِيَّةِ وَغَيْرِ اَللِّسَانِيَّةِ اَلْمُمَثِّلَةِ فِي عِلْمِ اَلْعَلَامَاتِ، وَأَوْضَحَ اَلدَّلَالَةَ اَللَّفْظِيَّةَ اَلَّتِي تَعُدُّ جُزْءٌ مِنْ اَلدَّلَالَةِ اَللِّسَانِيَّةِ اَللُّغَوِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ أَنْوَاعَهَا.

نَلْحَظُ وُجُودَ عَلَاقَةٍ بَيْنَ لَفْظِ(اَلدَّلَالَةُ)فِي اَلِاصْطِلَاحِ وَالدَّلَالَةِ فِي اَللُّغَةِ حَيْثُ اِنْتَقَلَتْ اَللَّفْظَةُ مِنْ اَلْمَعْنَى اَلْمَحْسُوسِ، وَهُوَ اَلدَّلَالَةُ عَلَى اَلطَّرِيقِ إِلَى اَلْمَعْنَى اَلْمُجَرَّدِ، وَهُوَ اَلدَّلَالَةُ عَلَى مَعَانِي اَلْأَلْفَاظِ، فَالدَّلَالَةُ عِنْدَ اَلْعَرَبِ، هِيَ اَلْعَلَمُ اَلَّذِي يَدْرُسُ كُلَّ مَا أَعْطَى مَعْنَى، أَوْ عِلْمٌ يَدْرُسُ اَلْمَعْنَى اَلَّذِي يَتَحَقَّقُ مِنْ اَلرُّمُوزِ اَلصَّوْتِيَّةِ وَاللَّفْظِيَّةِ.

أهم النتائج والتوصيات

- تباين آراء الباحثين في تحديد مفهوم الإيقاع، واختلاف وجهات نظرهم باختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم وثقافتهم.
- أن الإيقاع بمفهومه العام، يعد من أكثر المفاهيم غموضًا قديمًا وحديثًا، بالنظر إل تشعبه، واتصافه بالشمولية.
- أن الإيقاع هو الذي يشكل البنية الصوتية، بتآزر الإيقاعات والكلمات والصور وفقًا لجماليات تمثلت في انتظام تكرار المقاطع الصوتية.
- أن العلاقات الإيقاعية لا تحقق بمعزل عن مقتضيات الدلالة.
- أن دراسة الدلالة من أصعب الدراسات اللغوية، لأنه لا يمكن فصلها عن السياقات اللغوية التي وضعت فيها، سواء أكانت تلك السياقات لفظية، تركيبية، اجتماعية، سياسية، مكانية.
- إن مفهوم الدلالة في اللغة وفي اللغات الإنسانية يتغير بتغير نواح الحياة، وتعدد البيئات واختلاف الشخصيات، والثقافة الإنسانية.
- محاولة المزاوجة بين آراء اللغويين المحدثين وعلماء العربية القدماء، في محاولة فهم المعني ضمن الكلمة أو الجملة أو التركيب.
- أن البنية الصوتية تمثل الإيقاع الداخلي لها فاعلية في تحقيق الإيقاع الشعري.

- أن مجـال البحـث فـي العلاقـة بـين الإيقـاع والدلالـة مفتوحًـا علـى مصراعيه.

قَائِمَةُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

أوَلًا: الْمَصَادِرُ وَالمراجِع:

- أَسَـاسُ اَلْبَلَاغَـةِ، اَلزَّمَخْشَـرِي، دَارُ اَلْمَعْرِفَـةِ، بَيْـرُوت ١٩٨٢ م، ص ١٣٤.
- اَلْإِمْتَـاعُ وَالْمُؤَانَسَـةُ، أَبُـو حَيَّـانْ اَلتَّوْحِيـدِي، مَكْتَبَـةُ اَلْجَيَّـاَة، بِيـرُوت، ج ٢ ، (د ت).
- اَلْإِيقَـاع فِـي اَلشِّـعْرِ اَلْعَرَبِـيِّ، خَلِيـلْ اَلْيسُـوعِيِيْ، مَجَلَّـةُ اَلْمَشْـرِقِ، اَلْعَـدَدُ ٢٠ - أَفْرِيلْ ١٩٠٠م.
- اَلْإِيقَـاعُ فِـي اَلشِّـعْرِ واَلْحَدَاثَـةِ، مُحَمَّـدٌ عِلْـوَان سَـالِمَان، دَارُ اَلْعِلْـمِ وَالْإِيمَانِ لِلنَّشْرِ، ط ١، اَلْقَاهِرَةُ ، ٢٠٠٨م.
- اَلْحَيَـوَانُ، اَلْجَـاحِظ، تَحْقِيـقُ : عَبْـدُ اَلسَّـلَامِ هَـارُونْ، دَارُ اَلْكِتَـابِ اَلْعَرَبِيِّ، بَيْرُوت ، ج ١، ط ١ ١٩٦٩ م.
- اَلْمَنْـزَعُ اَلْبَـدِيعُ فِـي تَجْنِـيسِ أَسَـالِيبَ اَلْبَـدِيعِ، اَلسِّـلِجْمَاتِي أَبُـو مُحَمَّـد اَلْقَاسِم: تَحْقِيق: عَلَّالُ اَلْغَازِيِّ، مَكْتَبَةُ اَلْمَعَارِفِ، اَلرِّبَاطُ، ١٩٨٠ م.
- اَلْوَسَـاطَةُ بَـيْنَ اَلْمُتَنَبِّـيْ وَخُصُـومِهِ، عَبْـدُ اَلْعَزِيـزِ اَلْجُرْجَـانِي، تَحْقِيـق: مُحَمَّدُ أَبُو اَلْفَضْل وَعَلِي اَلْبَجَاوِي، ط ٢.
- أُوهَـاجُ اَلْحَدَاثَـةِ: دِرَاسَـةٌ فِـي اَلْقَصِـيدَةِ اَلْمُعَاصِـرَةِ، نَعِـيمُ اَلْيَـافِي، دِمَشْـق، اِتِّحَادُ اَلْكُتَّابِ اَلْعَرَبِ، ١٩٩٣ م.
- تَحْلِيـلُ اَلـنَّصِّ اَلشِّـعْرِي: بِنْيَـةِ اَلْقَصِـيدَة، يـورِي لُوتمَـانْ، تَرْجَمَـةٌ: مُحَمَّـد فَتُّوح أَحْمَد، دَارُ اَلْمَعَارِفِ، اَلْقَاهِرَةُ ١٩٩٧ م.
- حُلْـمُ اَلْفَرَاشَـةِ، اَلْإِيقَـاعُ اَلـدَّاخِلِيُّ وَالْخَصَـائِصُ اَلنَّصِّـيَّةُ فِـي قَصِـيدَةِ اَلنَّثْرِ، حَاتِم اَلصّكْر، اَلْهَيْئَةُ اَلْمِصْرِيَّةُ اَلْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ، ط ٣.
- شَـرْحُ دِيـوَانُ اَلْحَمَاسَـةِ، اَلْمَرْزُوقِـي، تَحْقِيـق: أَحْمَـدُ أَمِـينْ، وَعَبْـد اَلسَّـلَامِ هَارُون، دَارُ اَلْجِيلِ، بَيْرُوت.

- شَـرْحُ شَـافِيَة اِبْـنَ الحَاجِـبِ، رَضِـي اَلـدِّين اَلْاَسْـتِرَابَاذِي، تَحْقِيـقُ: د . عَبْـدُ اَلْمَقْصُـودِ مُحَمَّـد عَبْـد اَلْمَقْصُـود ، مَكْتَبَـةُ اَلثَّقَافَـةِ اَلدِّينِيَّـةِ ، ط١، ٢٠٠٤م، ج٤.
- عِيَـارُ اَلشِّـعْرِ، اِبْـنُ طَبَاطَبَـا، تَحْقِيـقٌ: عَبَّـاس عَبْـدِ اَلسَّـتَّار - دَارُ اَلْكُتُـبِ اَلْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوت -ط٢٠٠٥م.
- فِـي اَلشَّـعْرِ وَالشُّـعَرَاءِ، ت. س.إِلْيُـوتْ، تَرْجَمَـةُ: مُحَمَّـد جَدِيـد، دَارُ كَنْعَان لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ، ط ١، دِمَشْق ١٩٩١م.
- مِنْهَـاجُ اَلْبُلَغَـاءِ وَسِـرَاجُ اَلْأُدَبَـاءِ، حَـازِمُ اَلْقَرْطَـاجَنِّيْ، تَحْقِيـقُ : مُحَمَّـدٌ اَلْحَبِيب بْن اَلْخوجَة - دَارُ اَلْكُتُبِ اَلشَّرْقِيَّةِ - تُونِس ،١٩٦٦م.
- نَظَرِيَّـةُ اَلْأَدَبِ، رِينِيـهْ ويلِيـك وَأُوسْـتِنْ وَارِيـن، تَرْجَمَـة: مُحْيِـي اَلـدِّينْ صُبْحُي، اَلْمُؤَسَّسَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوت ١٩٨٧م.
- نَظَرِيَّـةُ إِيقَـاعُ اَلشِّـعْرِ اَلْعَرَبِـيِّ، مُحَمَّـد اَلْعِيَّاشِـي، اَلْمَطْبَعَـةُ اَلْعَصْـرِيَّةُ، تُونِس ١٩٧٦ م.

ثَانِيًا: الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ الأَجْنَبِيَّة:

Joelle Garde Tamme Dictionnaire de Critique Litterare Ceres edition. Tums 1998, p. 274.

ثَالِثًا: المَعَاجِمُ العَرَبِيَّة:

- **اَلْمِصْبَاحُ اَلْمُنِيرِ فِي غَرِيبِ اَلشَّرْحِ اَلْكَبِيرِ، أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَلِي اَلْفَيُّومِي اَلْمقرِي، دَارُ اَلْمَعَارِفِ، اَلْقَاهِرَةُ، ط ٢، بَيْرُوت، ج ١.**
- **اَلْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ اَلْقُرْآنِ، اَلْأَصْفَهَانِي اَلْحُسَيْن بْن مُحَمَّد، رَاجَعَهُ: وَائِل أَحْمَد عَبْد اَلرَّحْمَن، اَلْمَكْتَبَةُ اَلتَّوْفِيقِيَّةُ، اَلْقَاهِرَةُ ٢٠٠٣ م.**
- **تَاجُ اَلْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ اَلْقَامُوسِ، اَلزَّبِيدِي (اَلسَّيِّدُ مُحَمَّدْ مُرْتَضَى اَلْحُسْنِيّ)، مَادَّة: " دَلّلَ " ، اَلْكُوَيْتُ ،ج ٢٨.**
- **لِسَانُ اَلْعَرَبِ، لِابْنِ مَنْظُور، دَارُ صَادِرٍ، ط ١، بَيْرُوت، مَادَّة (و . قِ . ع)، ج ١٥.**